الوحدة الثانية : القرآن الكريم و السنّة النبوية

إعداد: د. موسى معطان د. منى رفعت

يشتمل مبحث السنة النبوية على العناوين التالية:

١- تعريف السنة النبوية لغة واصطلاحاً.

٢- أهميّة السنة النبوية.

٣- عناية المسلمين بحفظ السنة النبوية، ودواعي الحفظ.

٤- منهج علماء المسلمين في التثبّت من المنقول عن النبي ﷺ سنداً ومتناً.

٥- تدوين السنة النبوية مميزاً فيها الصحيح من غيره.

٦- مزايا السنة النبوية.

٧- الإعجاز في السنة النبوية.

٨- قواعد في التعامل مع السنة النبوية وفهمها.

تعريف السنة النبوية

- **لغةً:** السنة هي الطريقة والسيرة.
قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ ﴾ (الأحزاب، ٦٢)

- **اصطلاحاً:** ما صحّ عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

مثال القول: حديث « إن ممّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت ».

مثال الفعل: كيفيّة صلاته ﷺ وحجّه.

مثال التقرير: أنه رأى الحبشة يلعبون في المسجد بحرابهم فلم يعنّفهم، فهو إقرار منه ﷺ لفعلهم.

- تأتي السنة النبوية في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث أهميتها وأثرها.
- فقد كان النبي ﷺ رحمة للعالمين، ودعا إلى خير وحقّ وإلى العدل والمساواة والأخوة بين الناس.
- وكانت حياته وسيرته مثالاً يُحتذى في الأخلاق وفي السلوك السوي المستقيم.

أهميّة السنة النبوية

تشكل السنة النبويّة مصدراً أساسياً وشاملاً للمعرفة، وذلك بما حوته من أحكام وتوجيهات في شتى ضروب الحياة وأبواب المعرفة وجوانب الحضارة فضلاً عن جوانب الغيب والعقيدة؛ فهي شاملة بشمول هذا الدين العظيم.

السنة النبوية ملزمة لكل مسلم، ولا يجوز لأحد أن يدعي الاستغناء عنها، زاعماً أنّ القرآن الكريم قد بيّن كل شيء فيجب الاقتصار عليه.

(١) ذلك أنّ السنة النبوية ، في الحقيقة، ليست اختراعاً من عند النبي ﷺ ، وإنما هي وحي من الله تعالى ولكن بالمعنى، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم، ٣-٤)

(٢) والقرآن الكريم نفسه ألزم المسلمين الأخذ بها . قال تعالى:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ (الحشر، ٧)

(٣) ومن الناحية العملية، فإن من يزعم الاستغناء عن السنة النبوية، لا يستطيع القيام بكثير من فرائض الإسلام وشعائره التي أمر بها القرآن الكريم نفسه، ذلك أن القرآن الكريم جاء بأصول الشريعة وقواعدها العامة، تاركاً للسنة أن تبيّن ذلك وتشرحه وتفصّله، قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤ ﴾ (النحل، ٤٤)

مثلاً: أمر القرآن الكريم بإقامة الصلاة، ولم يبيّن عدد الصلوات المطلوبة وهيئاتها وركعاتها وما يقرأ فيها ، وكذلك فرض القرآن الكريم الحج والزكاة والصيام، فجاءت السنة النبوية لتبيّن أحكام ذلك كله بالتفصيل.

قال رجل للصحابي **عمران بن حصين** رضي الله عنه، وكان جالساً مع أصحابه: « لا تحدّثونا الا بالقرآن ، فقال له عمران: أدنه، فدنا، فقال: أرأيت لو وُكّلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً، وصلاة العصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً تقرأ في اثنتين؟ أرأيت لو وُكّلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد الطواف في البيت سبعاً، والطواف بالصفا والمروة؟ ثم قال: أييْ قوم، خذوا عنا، فإنكم والله إلا تفعلوا لَتَضِلُّن».

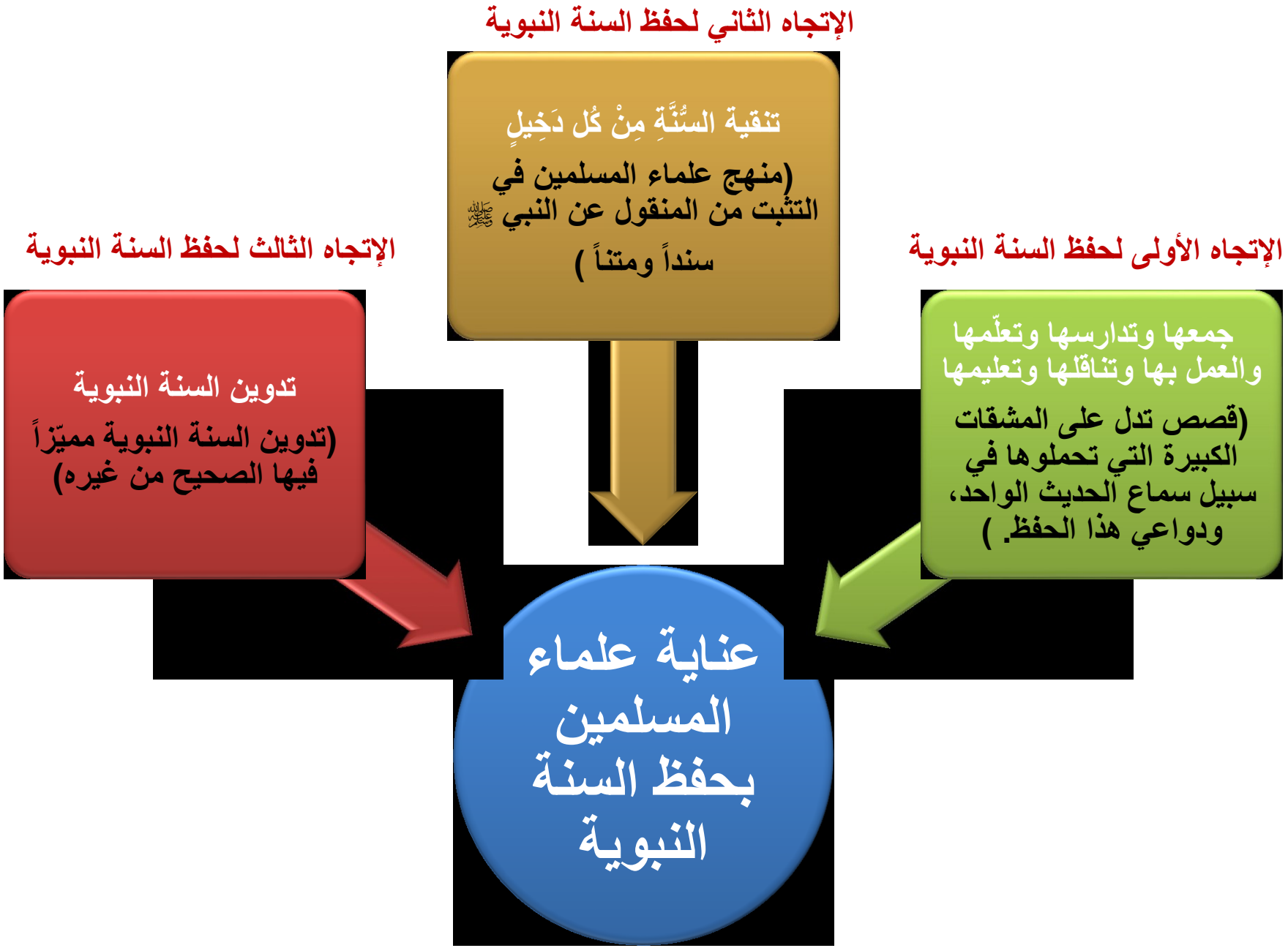
الإتجاه الثاني لحفظ السنة النبوية
تنقية السُّنَّةِ مِنْ كُل دَخِيلٍ
(منهج علماء المسلمين في التثبت من المنقول عن النبي ﷺ سنداً ومتناً)
الإتجاه الأولى لحفظ السنة النبوية
جمعها وتدارسها وتعلّمها والعمل بها وتناقلها وتعليمها
(قصص تدل على المشقات الكبيرة التي تحملوها في سبيل سماع الحديث الواحد، ودواعي هذا الحفظ.)
الإتجاه الثالث لحفظ السنة النبوية
تدوين السنة النبوية
(تدوين السنة النبوية مميّزاً فيها الصحيح من غيره)
عناية علماء المسلمين بحفظ السنة النبوية

عناية المسلمين بحفظ السنة النبوية

الإتجاه الأول لحفظ السنة النبوية: جمعها وتدارسها وتعلّمها والعمل بها وتناقلها وتعليمها

انصرف علماء جهابذة من الصحابة ومن بعدهم إلى العناية بالسنة النبوية، وكرّسوا حياتهم لحفظها وجمعها وتدارسها وتعلمها وتعليمها وتناقلها والعمل بها وتدويها، وقد تواترت القصص التي تُظهر مدى شدة اهتمامهم بالسنة النبوية وبحفظها، حتى قطعوا المسافات الطويلة وعانوا المشقات الكبيرة، في سبيل سماع الحديث الواحد منها.

أمثلة على عناية المسلمين بحفظ السنة النبوية

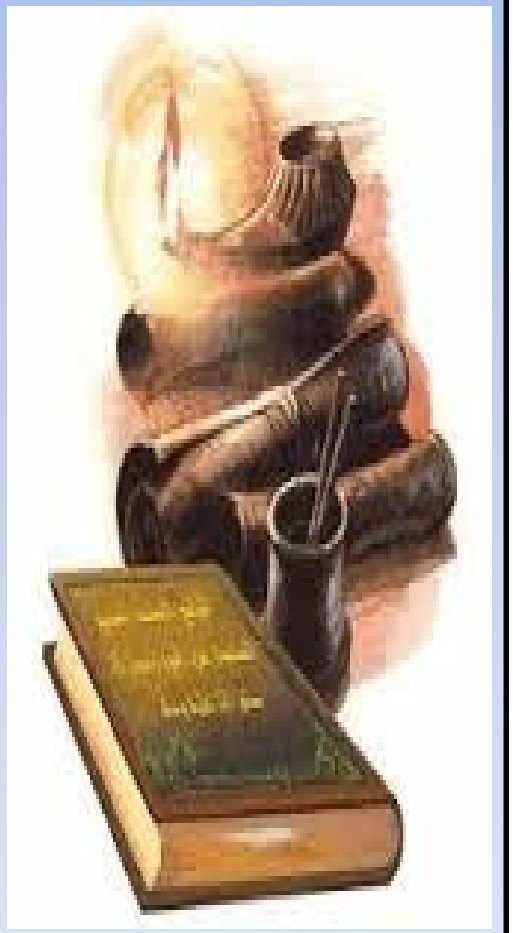

- جاء عن عمر ﷺ أنه قال: « كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد (وهي من عوالي المدينة)، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك».
- ورحل جابر بن عبد الله ﷺ مسيرة شهر في طلب حديث، يقول عن نفسه: « بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بعيراً ثمّ شددت رَحلي عليه، فَسِرْتُ إليه شهراً، حتى قَدِمْتُ عليه الشام، فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبوّاب: قل له جابر على الباب، فقال: ابن عبد الله ؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديثاً بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القِصاص، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه».

دواعي حفظ السنة النبوية

هيأ الله دواعي العناية بالسنة النبوية وحفظها لدى المسلمين في كل عصر، ومن أهم تلك الدواعي:

1. المكانة العظيمة التي تبوأها النبي ﷺ في نفوس المسلمين في كل العصور .
2. حث القرآن الكريم على طاعة النبي ﷺ والاقتداء بسنته.
3. حاجة المسلمين للسنة للعمل بها، واستنباط أحكام المستجدات منها.
4. القدرة الكبيرة التي كان يتميز بها العرب على الحفظ عن ظهر قلب.

أفكر: كان العرب حين البعثة أمّة أميّة ، لا تقرأ ولا تكتب، فهل أثر الأميّة على قوة الذاكرة، أثر إيجابي أم سلبي؟

منهج علماء المسلمين في التثبت من المنقول عن النبي ﷺ

الإتجاه الثاني لحفظ السنة النبوية: تنقية السنة النبوية من كل دخيل.

وضع علماء المسلمين منهجاً علمياً مُحكماً للتثبّت من المنقولات المنسوبة إلى النبي ﷺ ، يقوم على قواعد علمية دقيقة، وهو منهج فريد وجديد في التثبت من الروايات المنقولة، لم يُسبق المسلمون إلى مثله.

ويتعلّق هذا المنهج بناحيتين:

١- سند الحديث الشريف (علم الحديث رواية)
(سلسلة الرواة الذين رووا الحديث)

٢- متن الحديث الشريف (علم الحديث دراية)
(نص الحديث الشريف كما صدر عن النبي ﷺ)

١- منهج نقد سند الحديث الشريف

وضع العلماء قواعد علميّة للتثبت من صحة سماع الرواة بعضهم من بعض، والتحقق من صدق كل راوٍ لما يرويه، ومدى قوة حفظه وضبطه.

في عهد الصحابة (رضي الله عنهم)

ترجع بدايات هذا المنهج إلى عهد الصحابة (رضي الله عنهم):

١- كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يشترطان في بعض الأحيان أن يأتي الراوي من الصحابة براوٍ آخر يشهد معه أنه سمع ما سمعه من النبي ﷺ .

٢- وكان علي بن أبي طالب ﷺ يستحلف الراوي من الصحابة أنّ ما يرويه قد سمعه من النبي ﷺ

بعد عهد الصحابة (رضي الله عنهم)

طوّر العلماء بعد الصحابة (رضي الله عنهم) هذا المنهج، ووضعوا علوماً للتثبت من الرواية السماعية، لم توجد عند غيرهم من الأمم، مثل :

١- علم مصطلح الحديث الشريف.

« وهو العلم بقواعد يُعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول أو الرد» ومن أهم مقررات هذا العلم: وضع قواعد تحدد شروط الحديث الصحيح ومراتبه ، وقواعد تحدد مراتب الحديث الضعيف ومتى يتقوّى بغيره ومتى لا يتقوى.

٢- علم الجرح والتعديل.

« وهو العلم الذي يبحث ويبين بالتفصيل أحوال كل راوٍ من رواة الحديث الشريف من حيث قوة الحفظ والضبط والعدالة الدينية »

وكان من ثمرات هذا العلم تصنيف الرواة إلى مراتب : الثقات، الضعفاء، الوضّاعون...

وقد بلغ من عناية علماء المسلمين ودقّتهم في نقد السند ، أنّهم كانوا يرفضون رواية من عُرف بالتقوى والصلاح، إذا كان في ضبطه وحفظه ضعف.

١- يقول الإمام يحيى بن سعيد القطان: «آتمن الرجل على مائة ألف، ولا آتمنه على حديث».

٢- ويقول الإمام مالك: « لا يؤخذ العلم من (فلان) ، رجل له فضل وصلاح وعبادة، لا يَعرِف ما يحدّث»

٢- منهج نقد متن الحديث الشريف

وضع العلماء قواعد علميّة للتثبت من صحة معنى الحديث شرعاً وعقلاً .

في عهد الصحابة (رضي الله عنهم)

ترجع بدايات هذا المنهج إلى عهد الصحابة (رضي الله عنهم)، ومن ذلك:

عن فاطمة بنت قيس : « إن زوجها طلقها ثلاثاً، فلم يجعل لها رسول الله ﷺ سُكنى ولا نفقة. قال الأسود بن يزيد: قال عمر: (لا نترك كتاب الله وسنة نبينا ﷺ لقول امرأة ، لا ندري لعلها حفظت أو نسيت، لها السكنى والنفقة، قال الله عز وجل: « لا تخرجوهنّ من بيوتهنّ ولا يخرجنّ إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة »

بعد عهد الصحابة (رضي الله عنهم)

وقد طوّر العلماء بعد الصحابة (رضي الله عنهم) هذا المنهج، ووضعوا قواعد علميّة دقيقةً للتثبت من صحة معنى الحديث الشريف، منها :

١- عدم مناقضة القرآن الكريم

٢- عدم مناقضة الأصول العامة للدين.

٣- عدم مناقضة معطيات العقل والمنطق السليم.

٤- عدم معارضة حقائق التاريخ الثابتة.

حتى إذا خالف متن الحديث شيئاً من ذلك ردّه العلماء، واتخذوا هذه المناقضة دليلاً على أنه لا يمكن أن يصدر من النبي ﷺ ، وإن ورد بسند صحيح، مما يؤكد احتمال وَهْم بعض الرواة أو خطئهم.

تدوين السنة النبوية مميّزاً فيها الصحيح من غيره

الإتجاه الثالث لحفظ السنة النبوية: تنقية السنة النبوية من كل دخيل.

بدأ تدوين السنة النبوية في حياة النبي ﷺ ولكن على نطاق ضيّق، فقد صحّ أن بعض الصحابة مثل عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قد دوّن في حياة النبي ﷺ أحاديث كثيرة.

وقد توّجت جهود علماء المسلمين في حفظ السنة النبوية، بحركة تدوين واسعة وشاملة، بدأت في القرن الهجري الثاني زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز، واكتملت فيما بعد، وبخاصة في القرن الثالث الهجري، حيث قام العلماء بتدوين كل ما ورد عن النبي ﷺ ، مميزين في ذلك، وعلى أساس المنهج العلمي الذي وضعوه، بين الصحيح والضعيف والموضوع، وقد أبدعوا في ذلك تصنيفاً وترتيباً:

١- ترتيب الأحاديث الشريفة حسب اسم من يرويها من الصحابة (رضي الله عنهم) وتسمى المسانيد.

* مثال: مسند الإمام أحمد.

٢- حسب موضوع الحديث الشريف، بحيث تجمع الأحاديث الشريفة التي في موضوع معين تحت باب خاص بها، مثل: باب الإيمان، باب الجهاد، وتسمى الجوامع أو السنن.

* مثال: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن أبي داود، سنن ابن ماجه.

٣- خصوا الأحاديث الصحيحة بمؤلفات خاصة.

* مثال: صحيح البخاري وصحيح مسلم.

٤- بعض العلماء ألفوا في الأحاديث الشريفة التي يكثر ترادها على ألسنة العامة، فبيّنوا حكمها ودرجتها.

* مثال: المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة للإمام السخاوي.

٥- خصوا الأحاديث الموضوعة بمؤلفات خاصة للتحذير منها.

مثال: الموضوعات لابن الجوزي.

مصطلحات هامة في علم الحديث ومعانيها

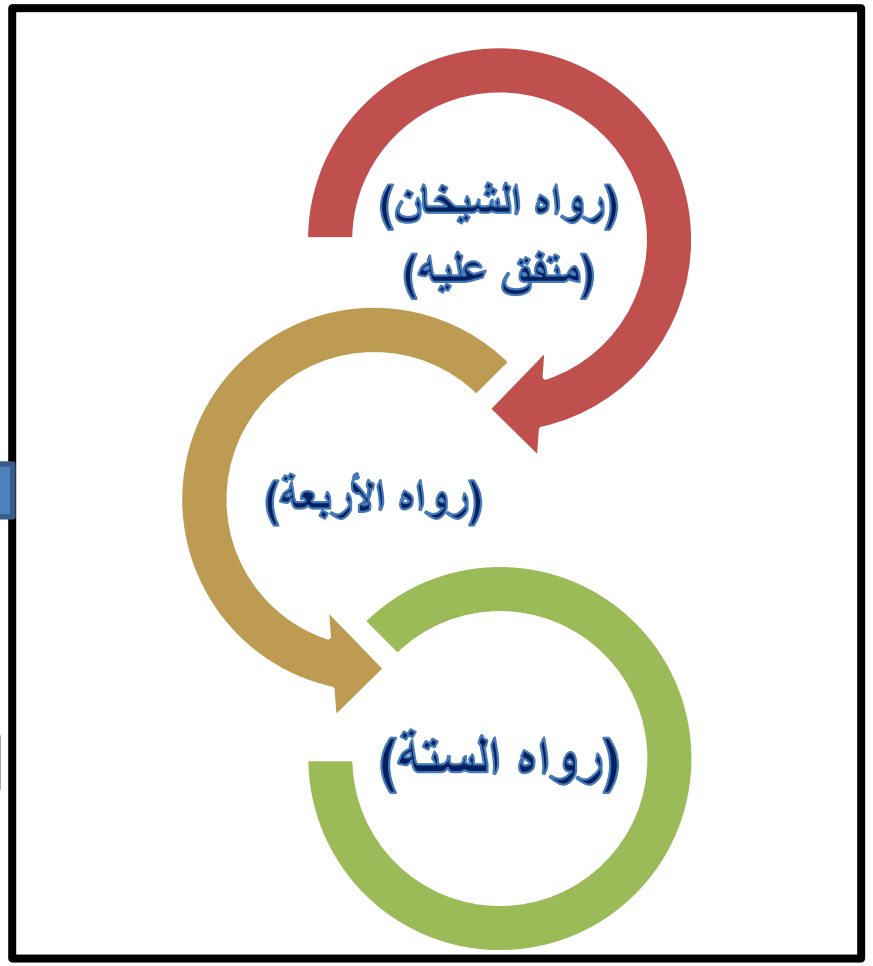

معناه: رواه البخاري ومسلم

معناه: رواه الترمذي، والنسائي، وأبو داود ، وابن ماجه.

معنـــاه: رواه البخـــاري، ومســـلم، الترمـذي، والنســائي، وأبـو داود ، وابن ماجه.

مزايا السنة النبوية

تتوفّر في السنة النبوية مزايا كثيرة من حيث الأسلوب والمضمون، لم تجتمع في كلام بشر آخر، وذلك من دلائل نبوته، ومن أهمّ هذه المزايا:

١- إيجاز اللفظ وغزارة المعنى

٢- دقة التشبيه

٣- عمق المعاني

٤- تصحيح المفاهيم

١- إيجاز اللفظ وغزارة المعاني

تتسم الأحاديث النبوية الشريفة بالتعبير عن معان كثيرة في ألفاظ قليلة، وذلك لأنه ﷺ أوتي جوامع الكلم، ومن أمثلة ذلك:

٢ـ دقة التشبيه

زخرت الأحاديث النبوية بالتشبيهات الدقيقة والأمثلة التوضيحية العميقة ، وهو أسلوب عظيم الأثر في تقريب المعاني المجرّدة إلى الأذهان ، ومن ذلك:

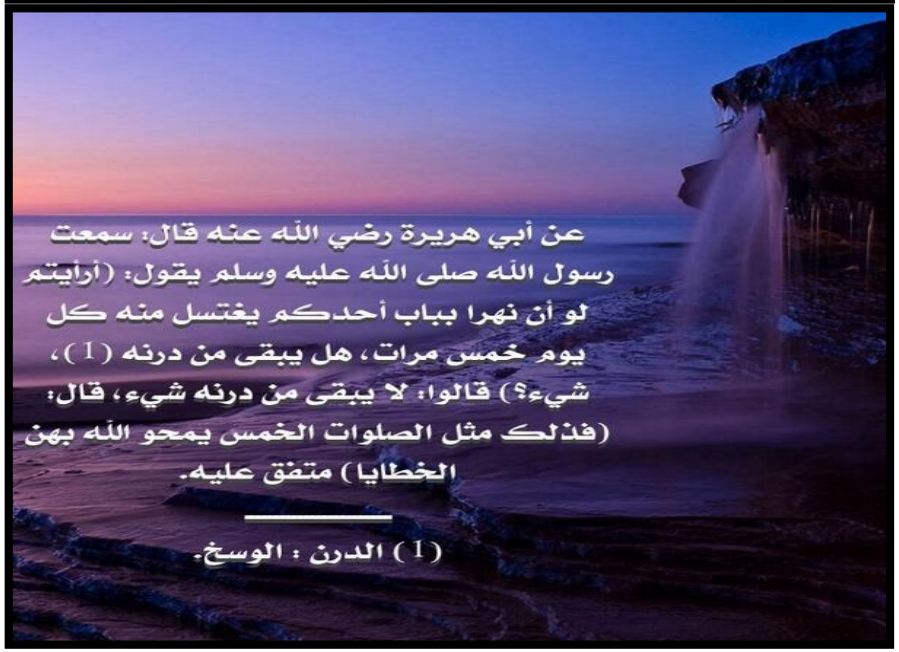

٣- عمق المعاني

فقد ربط الحديث الشريف بين الصدق والبر من جهة وبين الكذب والفجور من جهة أخرى، لأن المرء إذا عزم أن يكون صادقاً في كل ما يقول، فإنه لن يقدم على عمل ما يستحي ، أو يخشى من الصدق في الإخبار عنه، لئلا يضطر إلى الكذب، وهكذا تستقيم أعماله ويصل إلى درجة الصديقين.

فإلقاء السلام بين الناس من أكثر ما يزيد الود، والتعارف بينهم ويزيل الوحشة والنفرة منهم.

٤- تصحيح المفاهيم

ونهى النبي ﷺ عن الطِيَرة ونفى أي اثر لها في الواقع، حيث قال: « لا عدوى ولا طِيرة ولا هامة ولا صفر وفِرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد ». (رواه البخاري)

والطِيَرة هي التشاؤم، فقد كان الناس في الجاهلية، إذا أراد أحدهم الشروع في أمر، أفْلَت من يده طائراً وتركه يطير، فإن طار يمنةً تفاءل ومضى في عمله، وإن طار يسرة تشاءم وأحجم عما كان مزمعاً على فعله. ولا يزال بعض الناس إلى يومنا هذا يتشاءمون بيوم معيّن، أو رقم معيّن، أو لون معيّن، أو شخص معيّن، على عادة أهل الجاهليّة المقيتة.

فقد يظن بعض الناس أنه لا يصدر الحِلم إلا من ضعف، وأن حاد المزاج الذي يردّ الصاع صاعين – كما يقولون – هو القوي، فصحّح الحديث الشريف هذه النظرة.

أفكر: يعتقد من يتشاءمون بشيء معيّن أنّ ما يتشاءمون منه يحدث دائماً أو غالباً على أقل تقدير، كيف يمكن تفسير هذا الاعتقاد؟!

الإعجاز في السنة النبوية

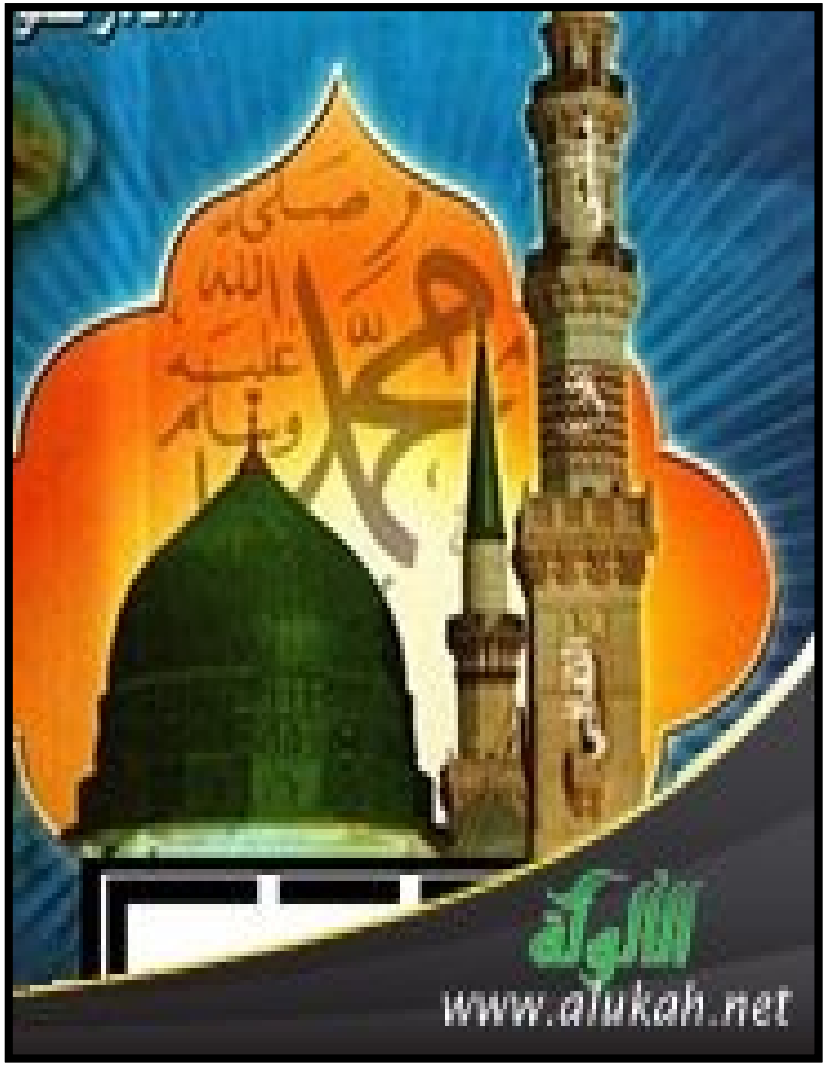

تضمّنت السنة النبوية أوجهاً من الإعجاز ، لا يمكن أن يتضمّنها كلام بشر، وذلك من الأدلة على نبوّة النبي ﷺ ، نذكر منها:

١- الإعجاز الغيبي .
٢- والإعجاز العلمي .

١- الإعجاز الغيبي في السنة النبوية

تعريف الإعجاز الغيبي: هو إخبار النبي ﷺ بالأحداث قبل أن تقع، فتقع كما أخبر.

ومن أمثلة ذلك:

١- تنبؤ النبي ﷺ بالشهادة لعمر وعثمان رضي الله عنهما، وقد قتلا شهيدين فعلاً، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه « أنّ النبي ﷺ صَعِدَ أُحُداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: اثبُت أُحُد فإنما عليك نبيّ وصدّيق وشهيدان ».

٢- تنبؤه ﷺ بمقتل عمار بن ياسر على يد جيش معاوية، وهو ما حدث سنة أربعين للهجرة، وذلك قوله ﷺ « تقتل عمّاراً الفئة الباغية».

٢- الإعجاز العلمي في السنة النبوية

معناه: هو إخبار النبي ﷺ بحقائق علميّة لم تكن معلومة في عصره ، جاء العلم الحديث وأكد صحة ما أخبر به النبي ﷺ وصدقه.

ومن أمثلة ذلك:

١- عَجْبُ الذنب

٢- ولوغ الكلب

٣- الحبة السوداء

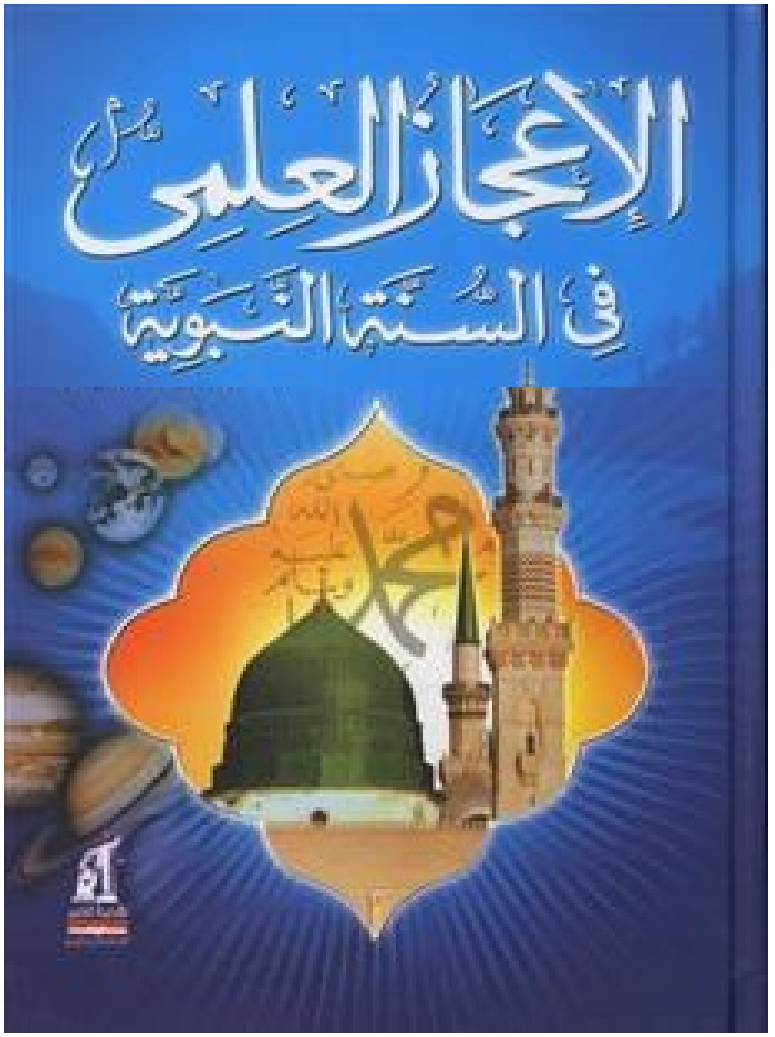

١- عَجْبُ الذنَب

- وقد كشف العلم الحديث أنّ تكوين الإنسان يبدأ بشريط أولي، يظهر في اليوم الخامس عشر من عمر الجنين ، ثمّ تبدأ الانقسامات المتتالية لتكوين الجنين وأجهزته بفعل نشاط هذا الشريط، وهكذا يبدأ الجنين يتكون وينمو بسرعة ليصير إنساناً بإذن الله تعالى.
- ويبدأ هذا الشريط في الاندثار منذ الأسبوع الرابع، ولا يبقى منه إلا أثر في العظم العصعصي، أسفل الظهر، وهو ما أسماه النبي ﷺ «عجب الذنب».

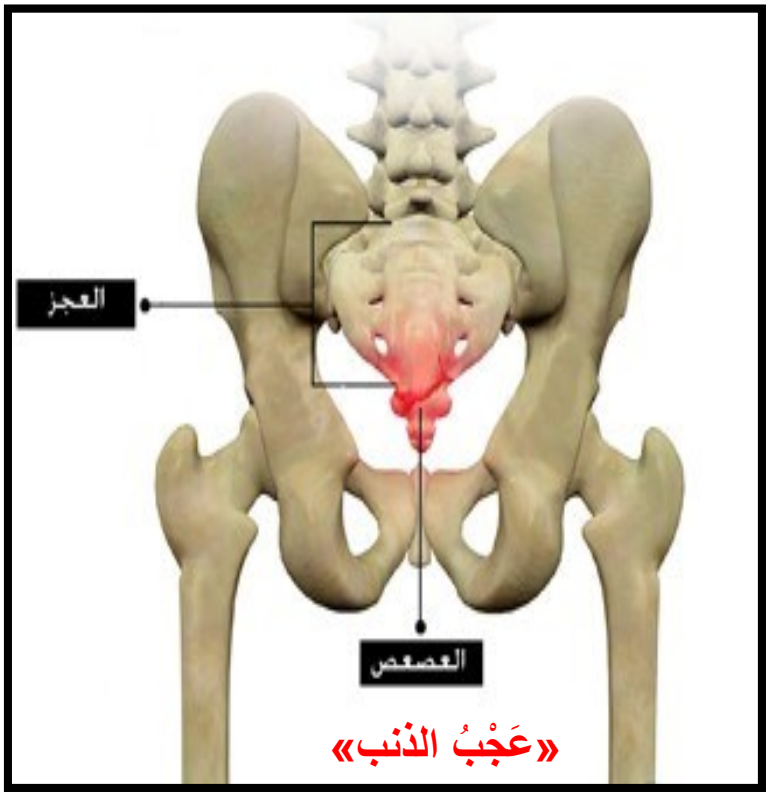

«عَجْبُ الذنب»

جاء في الحديث الشريف : « ليس من الإنسان شيءٌ إلا يَبلى، إلا عظماً واحداً، وهو عجْبُ الذَنَب ، ومنه يُركّب الخلق يوم القيامة». رواه البخاري.

٢- ولوغ الكلب « إدخال لسانه في الإناء وتحريكه»

جاء في الحديث الشريف: « طَهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسلَه سبعَ مراتٍ أولاهنّ بالتراب.» رواه مسلم

- وقد كشف العلم الحديث أن الكلب تعيش في إمعائه دودة تسمى « تيتا إكنياكوكس »، تخرج بيوضها مع برازه، وبما أنّ الكلب كثيراً ما يقوم بلحس جسمه، فإنّ هذه البيوض قد تعلق بلسانه، وتنتقل منه الى الأواني التي يلعقها، فتدخل إلى أمعاء مستخدميها، ومنها تتسرّب إلى الدم والدماغ، وقد يصل الأمر إلى حدّ الشلل الدماغي أو الموت أحياناً.
- وقد وجد العلماء أنّ هذه البويضات لا تموت بالغسل ومساحيق التنظيف العادية، وأنّ التراب يحتوي بكتيريا خاصة هي وحدها القادرة على قتلها.

٣- الحبة السوداء

جاء في الحديث الشريف: « الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام». رواه البخاري

- وقد أثبتت البحوث العلميّة أنّ الحبة السوداء لها أهميّة كبرى كمنشط طبيعي للمناعة وتحسين فعاليّة الخلايا الطبيعيّة، وتلعب دوراً مهماً في علاج الإيدز وغيره من الأمراض التي تُصاحب نقص المناعة.
- أيّ أن الحبة السوداء تعمل على تقوية المناعة، وحيث إنّ المناعة هي التي تقف سداً منيعاً في وجه كلّ داء، كانت الحبة السوداء كما وصفها الحديث النبوي أنها: « شفاء من كلّ داء».

قواعد في التعامل مع السنة النبويّة وفهمها

١- التمييز بين الصحيح والضعيف

٢- ملاحظة الملابسات التي ورد الحديث فيها

٣- فهم الحديث في ضوء مبادئ القرآن ومقاصده

٤- فهم الأحاديث بمجموعها

قواعد في التعامل مع السنة النبويّة وفهمها

التمييز بين الصحيح والضعيف

لا بد من التأكد من صحة السنة قبل البناء عليها ، وعدم الاعتماد على الحديث الضعيف والموضوع منها. وتزداد أهمية هذا الأمر في مجال الأحكام وفي مجال القيم والمقاصد العامة فضلاً عن مجال العقيدة.

ملاحظة الملابسات التي ورد الحديث فيها

إن ملاحظة الملابسات والظروف التي أحاطت بالحديث حين صدر عن النبي ﷺ يُلقي ضوءاً على المعنى المقصود منه، ويساعد على فهمه.

فهم الحديث في ضوء مبادئ القرآن ومقاصده

السنة خادم للقرآن بالبيان والتوضيح، وليس من المقبول شرعاً ولا عقلاً فهم السنة فهماً يخالف مبادئ القرآن ودلالاته ومعانيه.

فهم الأحاديث بمجموعها

إن الأحاديث النبوية صدرت عن النبي ﷺ الذي لا يمكن أن يتناقض كلامه ، لأنه لا يتكلم إلا عن وحي ، وبالتالي فإنه ليس من المقبول ولا المعقول الاجتزاء بفهم حديث أو الاكتفاء بالأخذ به، وكأنّ الدين كلّه مبني على هذا الحديث، مع إغفال غيره من الأحاديث، التي يُعطي مجموعها فهماً كلياً صحيحاً وصورة متكاملة عن الموضوع.